فن المناظرة في آيات القران الكريم
دراسة حجاجية

اشراف الدكتور مصطفى شروي

الباحث. اسماعيل ناجي صالح غني

جامعة قم / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الملخص:

إنَّ دراستنا تهدف الى الكشف عن الية فن المناظرة القائمة على اسلوب الحجاج والمناظرة في ايات القران الكريم والتي يحاول من خلالها القران اقناع المخاطب في فكرته ودعهما بالحجج والبراهين التي تفند اراء المبطلين بقصد تضليلهم . وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على ايراد ايات من التي وردت فيها فن المناظرة الحجاجية وتحليها وبيان كيفية اشتغلها في الخطاب والمناظرة.

الكلمات مفتاحية: (المناظرة ، الحجاج ، الخطاب القراني).

The art of debate in the verses of the Holy Quran
Pilgrimage study

Supervised by Dr. Mustafa Sharwi

researcher. Ismail Naji Saleh Ghani

Qom University / College of Arts and Human Sciences / Department of Arabic Language

Abstract:

Our study aims to reveal the mechanism of the art of debate based on the style of pilgrims and debate in the verses of the Holy Qur'an, through which the Qur'an attempts to convince the addressee of his idea and provide them with arguments and proofs that refute the opinions of the invalids with the intention of misleading them. In this study, we have relied on citing verses that mention the art of argumentative debate, its analysis, and an explanation of how it works in discourse and debate.

Keywords: (debate, pilgrims, Quranic discourse).

المقدمة

الحمد لله رب العالميين والصلاة على سيد الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم.

قد احتل القرآن الكريم مكانة متميزة في تعديل مسار التفكير الإسلامي وبناء مقومات الحضارة الإسلامية وتوجيه التجربة التاريخية للأمة بدرجة لا يرقى إليها أي كتاب سماوي، فقد تجلّى أثره بوضوح في إعادة تشكيل العقل ووضع أسس منهجية قويمة للتفكير الصحيح. فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كلّ تشريع، وأودعه كلّ نهضة وناط به كلّ سعادة وهو حجّة الرسول وآيته الكبرى، يقوم في فم الدنيا شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوّته،

دليلاً على صدقه وأمانته وهو ملاذُ الدين الأعلى الذي يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته، وحِكَمِه وأحكامه وآدابه وأخلاقه، ومعارفه. وهو القوة التي غيّرت صورة العالم، وحوّلت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية، فكأنما خلقت الوجود خلقًا جديدًا، لذلك كلّه.

واتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة بالقرآن منها فن المناظرة التي كان له ارث في الذي بلغ اوج ازدهاره في عصر النهضة عند العرب في العصر العباسي والاندلسي ولقد كان للقران الكريم مساحة واسعة من هذا الفن ولقد جاء في السياق القراني مناظرات عديدة منها مناظرة رب الارباب ومنزل الكتاب مع ملائكته وكان الله صاحب الحجة الاقوى ومنها ماجاء من مناظرات ومناظرة النبي ابراهيم عليه السلام مع النمورد ابن كنعان ومناظرة مناظرات موسى مع فرعون وغيرها الكثير من المناظرات لذلك تناولنا في بحثنا في هذا الموضوع عدة نقاط ارتكز عليها البحث.

الاحتجاج وارتباطه في فن المناظرة في القران الكريم .

لم يقتصر القرآن الكريم في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة ، بل تنوعت طرقه في عرضها لتكون ألزم للحجة ، وأدعى إلى القبول والملاءمة لكل عقل بشري وحالة نفسية فيكل زمان ومكان ، تحقيقا لخلود القرآن وإعجازه إلى ما شاء الله .

قد ذكر الدهلوي في كتابه " الفوز الكبير " أن القرآن الكريم اتخذ طريقين للاحتجاج الأول :أن تذكر العقيدة الباطلة ثم ينص على شناعتها وفسادها واستنكارها فحسب.

والثاني : أن تحدد الشبهات التي وقع فيها المضلون ثم تعرض حلولها وأجوبتها بالأدلة.

(١) البرهانية أو الخطابية

ويفهم من الطريق الأول الذي ذكره ، أن الله يحتج على بطلان ما يعتقده الكفار بوصف شناعته وتقبيحه ، ومن الثاني إخراجها على طريق المناظرة وغيرها، فيعرض ما قالوه ويحدد الشبهات التي وقعوا فيها ، ثم ينقضها بالدليل والحجة .

والذي يراه الباحث أن الطريق الأول الذي ذكره الدهلوي – وهو ذكر العقيدة ثم تقبيحها–

لا نستطيع عده من طرق الاحتجاج ، كونه لا يدخل في إطار الحجج العقلية التي نتحدث عنها .

والحق ، أن الذي يستقرئ حجج القرآن، فإنه يجده قد سلك في إقامتها أربع طرق رئيسة:

الطريقة الأولى : المناظرة والجدل .

الطريقة الثانية : الحوار .

الطريقة الثالثة : القصة

١– تعريف المناظرة لغة واصطلاحا

٢- الفرق بين الجدال والمناظرة

٣- اركان االمناظرات وشروطها

٤- فؤاد المناظرة

٥- طرق المناظرة في القران الكريم

٦- بعض نماذج من المناظرات في القران الكريم والخاتمة

١- مفهوم المناظرة

١.١ المناظرة في اللغة من الجذر (ن ظ ر) ورد عند ابن فارس في كتابه مقياس اللغة " نظر " النون والظاء والراء اصل صحيح ورجع فروعه الى معنى واحد وهو تامل الشي ومعاينته[١]

وعرف الخليل المناظرة بقوله : (هو ان تناظر اخاك في امر اذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه فالمناظرة لغة المصدر ناظر . ماخوذة من الفعل النظر لان ككلأ الخصمين ناظر للأخر[٢]

١-٢ اما اصطلاحا فيعرفه علي جريشة في كتابه (ادب الحوار والمناظرة) : هي حوار بين متناظرين بلوغا الى الحق او جلاة للصواب

وعرفه الجرجاني " هو النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب "[٣]

وهناك فروق بين المناظرة والجدل، منها:[٤]

١ - أن الجدل احتجاج باللسان، أما النظر فقد يكون بالقلب والفكر.

٢- أن النظر يصح من طرف واحد، بينما الجدل لابد من طرفين، قال الخطيب البغدادي: "ولا يصح الجدل إلا من اثنين، ويصح النظر من واحد"

٣- أن المقصود من المناظرة هو ظهور الحق في المطلوب، بينما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إل قول المجادل.

٢- اركان المناظرة

لا يمكن ان تنعقد المناظرة الا بوجود عدة اطراف لان الاصل في لقظة المناظرة من حيث اللغة المفاعلة ويعني ذلك التشارك بين اثنين او اكثر.

١_ الموضوع، أي انه يجب ان يكون هناك موضوع تقوم عليه تلك المناظرة، والمراد بمسالة الموضوع هي ذلك الموضوع او نقطة البحث المشتركة.

٢_ الفريقين، يجب ان يكون هناك فريقين للتحاور حول موضوع المناظرة المحدد، حيث يكون فريق ناقل للخبر او حتى مدعي ويكون الفريق الاخر معترض عليه.

فاذا كان الموضوع تعريفا او تقسيما سمي المعترض عليه (مستدلا) وسمي صاحب التعريف صاحب التعربف (مانعا)واذا كان الموضوع تصديقا اي قضية منطقية سواء كان مصرحا بها او مفهومة من ضمن الكلام فالمعترض عليه يسمى سائلا وصاحب التصديق ومقدمه يسمى معللا .

٣- شروط المناظرة

الشرط الاول : أن يكون المتناظر على معرفة جمة بما يحتاج إليه من أصول المناظرة وقواعدها، ومستلزمات المحاورةّ الجدلية السليمة، من آداب وشروط.

الشرط الثاني : أن يكون المتناظران على علم بالموضوع المطروح للنقاش والتناظر؛ حتى يتكلم كل ضمن الوظيفة المأذون له بها، طبق قواعد المناظرة وضوابطها المتعارف عليها؛ لكيلا يصطبغ النقاش بطابع أشبهما يكون بالتخبط العشوائي.

الشرط الثالث : ان يكون الموضوع داخل إطار ما يمكن إجراء المناظرة فيه، عرف علماء هذا الفن وضوابطه؛ فإن البدهياتّ والمسلماتّ الجلية لا يجري التناظرفيها.

الشرط الرابع : أن يجري المتناظران مناظرتهما على عرف واحد، فإذاكان الكلام مثلا- جاريا على عرف الفقهاء، فلا ينبغي للطرف الثاني اللجوء إلى عرف النحاة، أو الوضع اللغوي، أو عرف الفلاسفة، أو نحو ذلك:

٤- فوائد المناظرة

١- الوصول الى وضوح الرؤية حول قضية معينة لايجاد قناعة مشتركة حولها

٢- استقصاء جوانب الخلاف ما امكن حول قضية معينة وتجلية ما بين المتجاوزين من قضايا اخلاقية مما يوفر حالة من الود

٣- الابتعاد عن الاحكام التجريبية في اقضايا الواقع كما ان الاستقصاء فيها يجنب النظرات الانفعالية او القناعات المسبقة

٤- التعمق في دراسة ابعاد القضية وخلفياتها مما يؤدي الى شمول النظرة وسعتها

٥- التدرب على اصول الحوار وتنظيم الاختلاف والتادب بادابه

(آداب المناظرة)

١- ان يقصد بها الوصول إلى الحق وليس ظهور غزارة علم المناظر وصحة نظره وإلا فذلك من المراء.

٢- ان لا يكون في بال المناظر شيء أهم من المناظرة السليمة فلا يصاحبها أي شيء من المنكر مثل السب والفحش والتقصير والإهانة وغيرها.

٣- ان يقبل المناظر بالحق إن ظهر على لسان خصمه ولا تأخذه العصبية أن لا يقبل بالحق.

٤- ان لا يحاول أن اطيل الكلام في موضوع ما ويستخدم طرق من الإبداع الكلامي حتى يفوت على من يناظره فرصة نجاحه في المناظرة خوفاً من الهزيمة.

٥- أن تكون المناظرة مع عدم وجود الناس أحب إليه من وجودهم فإن الخلوة اجمع للفهم وأفضل لصفاء الفكر والوصول إلى الحق ففي وجود الناس ما يدعو إلى الرياء والحرص على التغلب على الخصم ولو

بالباطل وقد يؤدي وجود المناظرة في الخلوة إلى كسل أصحاب الباطل عن الجواب وتنافسهم في الجواب في حال وجود الناس.

٦- ان يكون صاحب الحق قاصداً الوصول إلى الصواب ويحمد الله ويشكره إن وصل إلى ذلك ولا يفرق إن كان ظهور الحق على يده أو يد خصمه.

انواع المناظرات في القران الكريم

في القرآن الكريم مناظرات من الأنواع الثلاثة: القولية، والعملية، وذات الدعوى المنتصرة. والأصلُ في المناظراتِ القوليةُ المستندةُ إلى الأدلة العقلية، فتجري المناقشات بين العقول، وتنتهي عندما تقنع العقول بصحة الدعوى أو بطلانها، ولا يركن إلى الفعلية إلا إذا لم يكن للعقل وحده مجال لإثبات الدعوى، بل لا بد أن تقترن حركته بعمل يقوم به صاحب الدعوى، كما هو الأمر في المعجزات وفي الدعاوى الهندسية، والتجريبية الاختبارية، وإلا إذا لم يملك الخصم عقًلا قادرًا على مُدَارَأَة أدلة الدعوى ولا أهلية له في ذلك، فيلجأ صاحب الدعوى إلى إقناعه بإجراء أعمال تقنعه أو تلزمه فينتصر المدعِي ويخيب الخصم السائل.

ومن المناظرات نوع يقوم على المبادرة بالدعوى مقرونة بدليلها الذي يستحيل أو ومن المناظرات نوع يقوم الدليل في إثبات الدعوى فيها على إجراء أعمال تشهد على صحّتها أو تؤدي إلى تحقيقها فعًلا، ولنا أن نسمي مثل هذه المناظرة بالمناظرة ايتعسّر على الخصم أن يدافعه؛ لأنه عين الواقع وعين الحقيقة التي يسلِّم بها الخصم، فهو محجوج من أوّل الأمر، وفاشل في زعمه، ومفحَم في مناظرته، أو بالدعوى التي هي من الضروريات الأوّلية؛ والضروري الأوّلي ما يستلزم نفس تصوره حصول التصديق به، على حَدّ قولنا: الواحد نصف الاثنين. ولنا أن نسمي مثل هذه المناظرة بالمناظرة المنتصرة الدعوى، مثل قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ

وَالْإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [٥]، وقول الأعرابي: «الأثر يدلّ على المسير؛ سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدلّ على السميع البصير؟!».لعملية، وما المعجزات التي يأتي بها الرُّسل والأنبياء.

٦-طرق القران الكريم في المناظرة

ان الله سبحانه وتعالى تناول في القران الكريم الكثير من الأدلة والبراهين التي حاج بها على خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة ، وأبطل كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج ، سليم التركيب ، لا يحتاج إلى إعمال عقل أو كثير بحث .

ولم يسلك القرآن في الجدل طريقة المتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها ، من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول ، أو الاستدلال بأحد الجزأين على الآخر في قياس التمثيل ، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء .

أ- لأن القرآن جاء بلسان العرب ، وخاطبهم بما يعرفون .

ب- ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثرا وأبلغ حجة .

ض المناظرات من القرآن الكريم: لقد حفلت سور القرآن الكريم بالعديد من المناظرات بين سالكي طريق الحق وبين ناكبيه وكان التوفيق الإلهي حليفاً لكوكبة الحق على زمرة الضلال.

• ١ قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[٦].

• قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٧].

• ولقد كانت مناظرات الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك لتهيئة النفوس ولاستمالة القلوب. وبدأت معظمها بقوله تعالى: ﴿

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (٨). وانتهت معظمها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٩).

• وهناك بعض النماذج للمناظرات في القرآن الكريم التي سنُعَرِّج عليها ونتناولها بتعليق مختصر.

المناظرة الأولى: مناظرة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود بن كنعان: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(١٠) في هذه المناظرة القصيرة تظهر رجاحة عقل نبي الله إبراهيم عليه السلام التي تمثلت في الرد المُفحم المزلزل الذي أسكت به النمرود وهو مُدعياً لنفسه ما لا ينبغي إلا لله تعالى. وهكذا يجب أن يكون صاحب الحق، وما يوفق لهذا الأمر إلا من وفقه الله تعالى وشرح صدره وأطلق لسانه.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري – حفظه الله – في تفسيره: " إذا ظلم العبد ووالى الظلم حتى أصبح وصفاً له يُحرَم هداية الله تعالى فلا يهتدي أبدا. فلأنه كان مُكابراً مُعرضاً عن الحق، ولم يكن مُستبيناً طرق الهدى لم يهده الله جل وعلا إلى سواء السبيل بل كان مُستكينا لهواه وشيطانه فبئس المولى وبئس النصير ولهذا جاء الله سبحانه وتعالى مُصوراً موقف هذا الذي كفر بعد إنقطاعه عن الجدال ولو بتأويل مردود بقوله –(فَبُهِتَ) وذكر الموصول (الذي) وجعل الكفر صلته (الَّذِي كَفَرَ) للإشعار بعلة هذه النتيجة، وهي أنه كافر حائد عن الحق لذا جاء ختام هذا الحوار (والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (١١)

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: " فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة، أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها، إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة، فإن كان صادقاً

فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه. وليس هذا إنتقالاً من حُجة إلى حُجة أوضح منها، كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حُجته إن كانت صحيحة ".(١٢)

• جاء في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله: " قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس وأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها فكان يضرب برأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله بها ".(١٣)

مناظرة الثانية: مناظرة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه: إن إبراهيم عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل لم يدخر وسعاً ولم يألوا جهداً من أجل تبليغ دعوة الله تعالى وانتشارها، فتراه يناظر هذا ويقنع ذاك، ويتودد لهذا ويتحدى ذاك مُستخدماً كل الأساليب والوسائل إعذاراً إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ

* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (١٤)، (١٥).

• في بداية هذه المناظرة نجد أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾(١٦). ومن هنا تأتي القوة الروحية والاتزان النفسي والطمأنينة والثقة بمعيته سبحانه وتعالى.

• بدأ سيدنا إبراهيم مناظرته لأبيه وقومه باستفهام استنكاري يُنكر عليهم فعلتهم وبه يستخرج منهم إجابة يبني عليها المناظرة فلا يستطيعون إنكارها ولا يستطيعون مجادلته في شأنها ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾(١٧).

• كانت الصدمة الاستهلالية والهجوم الاستباقي من الخليل إبراهيم عليه السلام حيث: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١٨).

• وببراعة فائقة وذكاء خارق بيَّن الخليل إبراهيم عليه السلام طبيعة دعوته وأنه مُرسل من الله تعالى لهدايتهم ولإخراجهم مما هم فيه من الضلال. " ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(١٩)

• عندما لم يجد الخليل إبراهيم من الشواهد ما تدل على استجابتهم لدعوته فكان لابد من المفاصلة وإعلان التحدي وظهر ذلك جلياً في قوله لقومه: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾(٢٠).

• وبالفعل نفذ الخليل إبراهيم تهديده وما تحداهم به: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢١). فالنبي لابد وأن يكون صادقاً في كلامه حازماً في قراره.

• كانت الصدمة المُزلزلة عندما وجد القوم آلهتهم – حسب زعمهم – مُحطمة مُتناثرة في مشهد لم يألفوه ولم يتوقعوه، فلقد عاشوا حياتهم يُقدسونها وينسجون حولها من الأساطير ما تجعل الإنسان يهاب أن يمسها بسوء أو أن يفكر في ذلك " قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (٢٢).

• يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: " إنه لم يكتفِ بالمحاجَّة باللسان، بل كسَّر أصنامهم فِعلَ واثقٍ بالله تعالى، مُوطِّنٍ نفسَه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين ".(٢٣)

• وكان رد الفعل الطبيعي أن يأتوا بإبراهيم الذي سبق أن ناظرهم وهددهم وتوعدهم لعلهم ينتبهون من غفلتهم: " ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (٢٤).

• يقول ابن كثير – رحمه الله –: "(٢٥)" أي في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد؛ لعلهم يشهدون مقالته، ويسمعون كلامه، ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه، وكان هذا أكبر مقاصدِ إبراهيم عليه السلام؛ أن يجتمع الناس كلهم، فيقيم على عبَّاد الأصنام الحجَّة على بطلان ما هم عليه، كما قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٢٦).

• وعندما جاء القوم بالخليل إبراهيم عليه السلام وسألوه: ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾؟ (٢٧) فما وجدوا منه إلا ثباتاً على المبدأ وتمسكاً بالحق وصراحة أصابتهم بالذهول: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ (٢٨).

• وهنا أسقط في أيديهم واستطاع الخليل إبراهيم عليه السلام – بتوفيق الله تعالى – أن يُقيم عليهم حُجة أخرى وأن يجعلهم يهمسون فيما بينهم بضعف موقفهم وضآلة حُجتهم أمام إبراهيم عليه السلام ورجاحة عقله وقوة حجته

واستمساكه بالحق والدفاع عنه. قال تعالى: " ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾[٢٩].

• وكانت قمة المواجهة وذروة المناظرة عندما سَفَّه الخليل إبراهيم أحلامهم وعاب آلهتهم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣٠].

• وكعادة الباطل الذي لا يُعمِل العقل ولا يرضخ للمنطق ولا يرضى بالحق بل يواجه كل ذلك بالقوة والبطش والتنكيل ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [٣١]

• يقول الإمام القرطبي[٣٢]– رحمه الله –: " لَمَّا انقطعوا بالحجة، أخذتهم عزةٌ بإثم، وانصرفوا إلى طريقة الغشم والغلبة، وقالوا: حرِّقوه ". ويقول أيضاً: " وهذه عادة الجبابرة، فإنهم إذا عُورضوا بشيء، وعجزوا عن الحجة، اشتغلوا بالعقوبة".

• بعد أن استنفذ الخليل إبراهيم عليه السلام كل الأسباب واستفرغ كل الوسع والطاقة والجهد كان لابد من تتدخل أسباب السماء التي لا يمنعها مانع ولا يحول دونها حائل: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٣٣].

• وهنا يُعلنها الله تعالى كلمة باقية إلى يوم القيامة: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [٣٤]. فالباطل مهما انتفش فهو إلى زوال والظالم مهما تجبر فلن يفلت من أخذ الله تعالى له أخذ عزيز مقتدر.

هذه مناظرة بين الحق مُتمثلاً في الخليل إبراهيم عليه السلام وبين الباطل مُتمثلاً في قومه، فبالرغم من أنهم سلكوا كل السبل ومارسوا كل الحِيل لإسكات الصادح بالحق وإطفاء سراجه وتعطيل حُجته إلا أن الخليل إبراهيم عليه السلام استحق تأييد الله تعالى له وإظهار دينه بسبب ثباته على المبدأ وتمسكه بالحق وحرصه على تبليغ ما أمره الله تعالى به.

المناظرة الثالثة بين نبي الله موسى عليه السلام وبين فرعون وقومه: إن كلمة فرعون في ذاتها تلقي في النفس ظلال التجبر والظلم والجبروت كما تلقي أيضاً

ظلال الرهبة والخوف من البطش والتنكيل ولذلك عندما يذهب نبي الله موسى عليه السلام إلى فرعون في عقر داره وبين حاشيته وجنوده لكي يدعوه إلى الله تعالى بدعوة قد تسلبه كل هذا الملك وكل هذه السيادة فهي خطوة لا يقدر عليها إلا نبي من أولي العزم من الرسل.

• قال تعالى: " ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ " (٣٥).

• في هذا المشهد يكلف الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون ليخبره بدعوة الله وليدعوه إليها هو ومن معه، فيلبي موسي عليه السلام ولا يتوانى في ذلك. بمجرد وصول نبي الله موسى عليه السلام إلى فرعون أخبره بأنه قد جاء إليه داعياً وأنه نبي مُرسل من قبل الله تعالى وأن دعوته هي دعوة

الحق وطلب منه الاستجابة لأمر الله هو ومن معه من بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٣٦).

• كعادة الطغاة والمتجبرين الذين يتمسكون بعرشهم إلى آخر رمق في حياتهم لم يرضخ فرعون لكلام نبي الله موسى عليه السلام ولم يستجب بل طلب دليلاً على صدق كلامه. هنا ظهرت المعجزة الإلهية التي أيد الله تعالى بها نبيه عليه السلام فبمجرد أن ألقى العصا – هذا الجماد الصلب – يفاجأ الجميع بأنها قد نفخت فيها الروح وأصبحت – بقدرة الله تعالى وعلى عكس نواميس الكون – ثعبان كالثعابين التي يعرفونها ويألفونها. لم يتوقف الأمر على ذلك وفقط بل عندما أخرج نبي الله موسى عليه السلام يده بدت للناظرين بيضاء ساطعة من غير مرض ولا عِلة. قال تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (٣٧).

• شعر الملأ من بني إسرائيل – الوزراء والأعيان – وكأن هناك زلزالاً عنيفاً يهز أركان عرش فرعون ليأتي به من القواعد فبادروا بالتشكيك فيما رأوا وإلقاء التهم والأكاذيب وأن الأمر لا يتحمل فلابد من حِيلة سريعة للخروج من هذا المأزق. والعجيب في الأمر أن يتحدث الطغاة بهذه اللهجة " فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " وما دفعهم إلى ذلك إلا شعورهم بضعف موقفهم وهشاشة حجتهم وأنهم قد أسقط في أيديهم وبهتوا مما حدث. قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (٣٨).

• أيقن الملأ من بني إسرائيل بأن قتل نبي الله موسى وأخيه ليس في صالحهم بل سيزيد الأمور تأزماً وسيزداد الناس تعلقاً بأمرهما فلقد رأى الناس ما حدث فلابد من مواجهة الحجة من جنسها فلا يبطل السحر – بزعمهم – إلا السحر

فاقترحوا انتداب أمهر السحرة للقيام بهذه المهمة. قال تعالى: ﴿ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٣٩).

• جاء السحرة لمواجهة نبي الله موسى عليه السلام، ولشعورهم بأهمية الدور الذي سيقومون به لخدمة فرعون وتثبيت أركان عرشه اغتنموها فرصة بأن يطلبوا لأنفسهم العطايا فوافقهم فرعون ووعدهم بالعطايا والمزايا. قال تعالى: ﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٠).

• جاءت اللحظة المرتقبة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون، ولثقته عليه السلام بمعية الله تعالى وتأييده له طلب من السحرة أن يقدموا ما في جُعبتهم من السحر فقدموا من مهارات السحر ما أبهروا به العيون وخلعوا به القلوب فلم يرى الناس لسحرهم مثيل. وبأمر من الله تعالى قام نبي الله موسى عليه السلام بإلقاء عصاه الجافة اليابسة فإذا هي تلتهم أباطيلهم وحيلهم التهاماً. ولكون سحرة فرعون متمرسين في السحر وفنونه ومعرفة أسراره ودروبه أيقنوا أن ما فعله نبي الله موسى عليه السلام ليس سحراً ولكنها معجزة ربانية لم يروا لها مثيل فما كان منهم إلا أن شعروا بذل الهزيمة فلم يكابروا بل خروا لله ساجدين منقادين للحق مستسلمين. قال تعالى: " ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٤١)

• عندما رأى فرعون هذا المشهد الذي لم يخطر له ببال أسقط في يديه واتهم سحرته بالخيانة له والمؤامرة عليه وأن كل ما حدث إنما كان بترتيب مسبق بينهم وبين نبي الله موسى عليه السلام. وشأنه شأن كل طاغية لا يعرف سوى لغة البطش والتنكيل بكل من يتجرأ عليه أو يهدد أركان عرشه أصدر حكمه

بأقصى وأقسى عقاب لهم فما لانت لهم قناة وما أعرضوا عن رأيهم وما تنازلوا عن الحق الذي هداهم الله تعالى إليه. فهنيئا لهم أصبحوا كفاراً وأضحوا مسلمين وأمسوا شهداء. قال تعالى: " ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٤٢]

المناظرة الرابعة بين نبي الله محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم وبين وفد نجران الذين وفدوا إلى المدينة لمناظرته في أمر رسالته،. (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [٤٣].

(حَاجُّوكَ) ناظروك، أي: في الدِّين. (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ) أخلصتُ نفسي لله وحده، أو أخلصتُ اتجاهي في ديني لله وحده. (الْبَلَاغُ) التبليغ، أي: إيصال الأمر لمن يُراد إيصاله إليه.

وجه المحاجّة: الدعوى أنَا على الهدى لا أنتم؛ لأنني أخلصتُ وجهي لله، وكذلك مَن اتبعني؛ وكلّ من أخلص وجهه لله فهو على الهدى، والنتيجة: أنا على الهدى.

وكلّ من المقدمتَيْن واقعية مسلَّم بها، فالنتيجة قطعية، فإنّ المقدمة الأولى (الصغرى) واقعية مسلَّم بها؛ لأنه جاء لنشر التوحيد الخالص، فلا شريك ولا وثن. وكذلك المقدمة الثانية (الكبرى) واقعية مسلَّم بها، إذْ لا يشكّ أحد في أنّ مَن أخلص دينه لله فهو على الهدى، فالنتيجة إذًا قطعية منطقًا، فلله الدين الخالص لا أنتم، أي: لستم على هدى لأنكم لم تخلصوا دينكم لله، لأنكم بين مشرك أو وثني، وكلّ من لم يخلص دينه لله فليس على هدى، والنتيجة: لستم على هدى، بل في ضلال مبين. وكلّ من المقدمتين واقعية مسلَّم بها، فإنَّ كون الخصوم إمّا مشركًا أو وثنيًّا –وهي المقدمة الصغرى– أمرٌ واقعي لا نكران فيه، فلا إخلاص لهم في دينهم، وكذلك المقدمة الكبرى وهي: (كلّ من لم يخلص دينه لله فليس على هدى)، أمرٌ يسلِّم به كلُّ ذي دِين أو عقل سليم، فالنتيجة إذًا

قطعية منطقًا، فالخصم في هذه المناظرة مضطر إلى الإذعان والتسليم إلا إذا كان مكابرًا معاندًا، والمكابر المعاند ليس بذي بال، ولا يحسب له حساب.

المناظرة الخامسة المجادلة والمناظرة التي دارت بين شعيب وقومه عندما دعاهم لعبادة الله وحده، والابتعاد عن الكفر، وعدم تطفيف المكيال والميزان، وأكل أموال الناس بالباطل (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [٤٤]

قد زودنا القرآن الكريم بمعلومات في غاية الدقة والاحكام عن قوم مدين، وكيف ان شعيباً دعاهم الى عبادة الله "عزوجل"، وما دار بينهم وبين النبي شعيب من جدال استأثر بخمس وثلاثون آية، بل ان القران نص على اسم شعيب في احد عشر مرة من سبع سور من القران، كما اوضح لنا طريقتهم في محاججة النبي شعيب واعراضهم عن دعوة التوحيد .

واضف الى ذلك ان الله "عزوجل" اشار الى انهم كانوا أسوا الناس معاملة فهم يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما فيأخذون بالكثير ويدفعون بالقليل، ويقطعون السبيل ويخيفون المارة.

الملاحظ أن شعيب تدرج في خطاب قومه، فابتدأ بنهيهم عن نوع من الفساد تفشى فيهم، وهو التطفيف، ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد وهو الإفساد في الأرض.

وهذه من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال. وإذا كانت غايتهم من الإفساد اجتلاب ما فيه نفع عاجل لهم، فقد أعقب شعيب عليه السلام موعظته بما ادخره الله من ثواب على امتثال أمره وتكمن أهمية هذا المقال في انه يبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم يتوقف عليه بقاء الامم وارتقاؤها، او سقوطها وانحدارها، وهو موضوع الآدب والاخلاق، ولاسيما واننا في زمان ضُيَعت فيه القيم، وهُمشَت فيه الآدب والأخلاق، ولذلك يظهر في قصة النبي شعيب "عليه

السلام" كثير من آداب تعامل الداعية مع المدعو . وقابلوا قوله بالسخرية والتهكم بشكل يدل عن جهلهم ويظهر عنادهم. ولم ينفعل شعيب عليه السلام على عادة البشر، ولم يغضب، بل تحلى بسعة الصدر، وبضبط الأعصاب، والسيطرة على النفس، وشهوة الانتقام. فواصل الحوار بنبرة هادئة هو لا يزال يحاورهم متسائلا عن سبب جحودهم، يقول: أخبروني إن كنت على بينة وحجة واضحة وبصيرة وهداية من عند ربي فيما أمرتكم ونهيتكم عنه، ورزقني منه رزقا كثيرا واسعا بلا كد مني ولا تعب في تحميله. فهل أترك أمركم ونهيكم؟ أو هل يسعني مع هذه النعمة أن أخون وحيه؟(٤٥)

المناظرة السادسة بين النبي محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم ومشركي قريش إفي قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (٤٦).

و مضى القرآن في دعوته إياهم إلى التدبر والتعقل فقال: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ.

أى: إن هذه الأصناف التي تعبدونها من دون الله، أو تنادونها لدفع الضر أو جلب النفع عِبادٌ أَمْثالُكُمْ أى: مماثلة لكم في كونها مملوكة لله مسخرة مذللة لقدرته كما أنكم أنتم كذلك فكيف تعبدونها أو تنادونها؟.

وأطلق عليها لفظ عِبادٌ- مع أنها جماد- وفق اعتقادهم فيها تبكيتا لهم وتوبيخا.

وقوله فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أى:فادعوهم في رفع ما يصيبكم من ضر، أو في جلب ما أنتم في حاجة إليه من نفع إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في زعمكم أن هذه الأصنام قادرة على ذلك.

المناظرة السابعة مؤمن آل يس لقومه: مؤمن آل يس: هو حبيب النجار وهو رجل صالح كان يسكن قرية في بلاد الشام تُسمى " أنطاكية " (مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على

بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط في محافظة هتاي التركية، وكانت سابقا ضمن الحدود السورية).

• ذكر أهل التفسير نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن المقصود بالرجل في هذه الآية هو حبيب النجار، وهو الذي يُطلق عليه مؤمن آل يس، قال ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصه (أحشاؤه) من دبره. (٤٧)

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾(٤٨)

اضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها.

والشاهد أن هذه القرية جعلها الله مثلا للمخاطبين. إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي. (٤٩)

الخاتمة

١- الحوارمن أبرزالأساليب القرآنية في الإقناع، والتأثير، ووسيلة من وسائل الدعوةإلى الله.

٢- مظهرالمناظرة في القرآن يأتي: إما عن طريق إيراد صورة حقيقية للحوار بين طرفين أو أكثر، وإما عن طريق إقرار ضمني لمبدئه

٣- للمناظرة ركنان أساسان: الأول: الفريقان المتحاوران، الثاني: موضوع الحوار.

٤- شروط المناظرة أربعة، هي: إلمام المناظر بما يحتاج إليه من أصول المناظرة وآدابها وشروطها، أن يكون عالما بالموضوع المطروح للبحث فيه، كون الموضوعً قابل للمناظرة فيه، إجراء المناظرة على عرف واحد، كأن يكونً جاريا على عرف الفقهاء حصرا.

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥ ص ٢١.

(٢) معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا – ج ٣ – الصفحة ٤٧١.

(٣) علي جريشة كتاب الحوار والمناظرة ص١٣.

(٤) الجرجاني . كتاب التصريفات ص ٢٣١.

(٥) ال عمران اية ٦٥.

(٦) سورة إبراهيم ٢٧.

(٧) سورة الشورى ١٦.

(٨) سورة الشعراء ١٠٧ – ١١٠.

(٩) سورة الشعراء ١٩٠.

(١٠) سورة البقرة اية ٢٥٨.

(١١) تفسير أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير أبو بكر جابر الجزائري ص ٢٤٨.

(١٢) تفسير ابن القيم لابن القيم الجوزية ص ١٩٠.

(١٣) كتاب البداية والنهاية – الجزء الأول المؤلف ابن كثير ص ١٧٩.

(١٤) سورة الأنبياء من ٥١–٧٠.

(١٥) كتاب البداية والنهاية – الجزء الأول المؤلف ابن كثير، ص١٧٩.

(١٦) سورة الأنبياء ٥١.

(١٧) سورة الأنبياء ٥٢–٥٣.

(١٨) سورة الأنبياء ٥٤.

(١٩) سورة الأنبياء ٥٥–٥٦.

(٢٠) سورة الأنبياء ٥٧.

(٢١) سورة الأنبياء ٥٨.

(٢٢) سورة الأنبياء ٥٩–٦٠

(٢٣) تفسير (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفراقان القرطبي ٢٩٧).

(٢٤) سورة الأنبياء ٦١.

(٢٥) ابن كثير، مصدر سابق.

(٢٦) سورة طه ٥٩.

(٢٧) سورة الأنبياء ٦٢.

(٢٨) سورة الأنبياء ٦٣.

(٢٩) سورة الأنبياء ٦٤–٦٥.

(٣٠) سورة الأنبياء ٦٦–٦٧.

(٣١) سورة الأنبياء ٦٨.

(٣٢) القرطبي، مصدر سابق.

(٣٣) سورة الأنبياء ٦٩.

(٣٤) سورة الأنبياء ٧٠.

(٣٥) سورة الأعراف ١٠٤-١٢٦.

(٣٦) سورة الأعراف ١٠٤-١٠٥.

(٣٧) سورة الأعراف ١٠٦-١٠٨.

(٣٨) سورة الأعراف ١٠٩-١١٠.

(٣٩) سورة الأعراف ١١١-١١٢.

(٤٠) سورة الأنبياء ١١٣-١١٤.

(٤١) سورة الأنبياء ١١٦-١٢٢.

(٤٢) سورة الأعراف ١٢٣-١٢٦.

(٤٣) سورة آل عمران ٦.

(٤٤) سورة هود ٨٤-٩٣.

(٤٥) التحرير والتنوير لأبن عاشور حمد طاهر، ج٦، ص، ١٣٨-١٣٩.

(٤٦) سورة الأعراف ١٩٤-١٩٨.

[٤٧] التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي ج ٥ ص ١٥١.

(٤٨) سورة يس ١٣-٣٠.

[٤٩] تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

المصادر :

- الجرجاني . التصريفات . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٩٨٣ . ص ٢٣١
- تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن بن ناصر السعدي
- ابن منظور، لسان العرب، دار الصدر ، بيروت ، ١٤١٤. ج ٥ ص ٢١٩

• التحرير والتنوير لابن عاشور محمد طاهر دار التونسية للنشر ٢٠٠١

• التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي دار المعارف ١٩٩٢ ج ٥ ص ١٥١

• تفسير (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان). شمس الدين القرطبي موسسة الرسالة بيروت ٢٠٠٦ ص ٤٩٠

• تفسير ابن القيم لابن القيم الجوزية دار ومكتبة الهلال بيروت ١٤١٠ هجرية ص ١٩٠

• تفسير أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير أبو بكر جابر الجزائري دار نهر الخير ١٩٩٠

• سورة ابراهيم

• سورة ال عمران

• سورة الانبياء

• سورة الشعراء

• سورة الشعراء

• سورة الشورى

• سورة هود

• كتاب البداية والنهاية – الجزء الأول المؤلف ابن كثير هجر للطباعة والنشر مصر ٢٠٠٦

• معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا – ج ٣ – الصفحة ٤٧١

•علي جريشة دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٨، ص١٣.